الجزائر

آل افراسياب وخراب الجزائر
La petite dynastie d'Afrâsiâb.

في سنة ١٠٧٨ (١٦٦٧م) اضطر العثمانيون ان يفتحوا البصرة مرة ثانية وكان دخولهم الاول اليها على يد اياس باشا والي بغداد؛ ولكن البصريين انتقضوا على عامل الاتراك واخرجوه؛ وذلك بتفوذ حسين باشا آل افراسياب. فكر عليهم الاتراك وفتحوا البصرة. وانهزم حسين باشا بعد حروب شديدة وكانت القيادة التركية في هذه الحرب اولا بيد مرتضى باشا والي بغداد فتغلب مرتضى باشا وانهزم حسين باشا الى الاطراف. ولكن اهل البصرة انتقضوا على مرتضى باشا فانكفأ هاربا من البصرة، وعاد حسين باشا اليها ثم كانت القيادة التركية بيد ابراهيم باشا والي بغداد ايضا فاشتد الهول وابلت الجزائر بلاء حسنا في هذه الواقعة وانحسم الامر صلحا بين ابراهيم باشا وحسين باشا ثم قصده الاتراك بوزيرة وصهره يحيى اغا وفي هذه الثالثة انتهت ولاية آل افراسياب، وانهزم حسين باشا الى الهند، وتسلم البصرة يحيى اغا وخربت الجزائر خرابا عاما وفر اهلها في نتيجة هذه الحرب الى بلاد الحويزة وتفرقوا في نواحي خوزستان.

وهذه المواقعة الاخيرة دامت اربعة اشهر، وكانت حملة العثمانيين شديدة وجيشهم لهاما. قال السيد نعمة الله الجزائري من اهالي الصباغية: «رنا الينا جيش السلطان محمد الرابع — فكانوا يرمون القلعة (قلعة الحصار) كل يوم اثنى عشر مدفع وكانت الارض ترجف من تحت اقدامنا» وهذه القلعة التي ذكرها السيد نعمة الله هي (العلية) نسبة الى علي باشا آل افراسياب وقد كانت قبلا قلعة صغيرة عند ملتقى الرافدين تسمى (القرنة) وحولها رهط الجزائريين وهذا هو مبدأ القرنة البلد المعروف اليوم ولكن علي باشا جدد بناءها فعرفت بالعلية وزاد حسين باشا في تشييدها وعميرها ثلاث قلاع كل واحدة منها محيطة بالاخرى وبينهما فرجة صالحة للمقاتلة ويحيط بثلاث جوانبها الشط وبالجانب الرابع خندق وعليه سدود ولما طوي بساط آل افراسياب استرجعت اسمها الاول «القرنة».

(١) سميت القرنة لان الرافدين يقترنان عندها وكتابة بعضهم لها بصورة قورنة على الطريقة التركية غلط شنيع. (ل. ع)

ترجمة آل افرسياب

كان ابوهم افراسياب(١) يعرف بالديري . نسبة الى موضع في شمالي البصرة يعرف بالدير . وفي ذلك الموضع كانت منارة(٢) يزعم بسطاء العقول انها من بنايات الجن وذكر عبدعلي بن رحمة الله الحويزي في كتابه (قطر الغمام) ان افراسياب من بقايا آلسلجوق وان اهل الدير اخوال افراسياب ومنشأ امارة هذه الاسرة (العائلة) ان افراسياب كان كاتبا من كتاب الجند في البصرة فانتقض اهل البصرة على علي باشا الحاكم الرومي (اي التركي) فعجز هذا عن اعطاء ارزاق الجند المحافظين عليه فباع البصرة من افراسياب بثمانية اكياس رومية(٣)

(١) افراسياب كان ابن الوزير حسين باشا والي البصرة وافراسياب ولد في الدير والدير هنا هو دير الدهدار (راجع هذه المجلة ٣ : ٦٠٠ في الحاشية) هذه الحاشية وما بعدها للمجلة

(٢) المنارة التي يشير اليها الكاتب هي (المنجشانية) وكانت في الساق منزلا وماء لمن يخرج من البصرة قاصدا مكة . وكانت حدا بين العرب والعجم في اول عهدها بالبناء وكانت بظاهر البصرة قبل ان تخطط هذه الحاضرة وهما طويلان مثل طويل المذنب (راجع هذه المجلة ٤ : ٥٢٠) ينسب الى منجش مولى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد وبه سميت المنجشانية وكانت في الجاهلية مسلحة لقيس بن مسعود قال ابوعمرو بن العلاء كان قيس بن مسعود الشيباني على الطف من قبل كسرى فهو اتخذ المنجشانية على ستة اميال من البصرة وجرت على يد عضروط له يقال له منجشان فنسبت اليه . وعندنا ان هذا الراي هو الارجح (راجع معجم البلدان لياقوت)

(٣) الكيس على نوعين كيس رومي وكيس مصري ويسمى الكيس الرومي بالكيس الديواني ايضا وكان مبلغ كل واحد من هذين الكيسين يختلف باختلاف سعر القرش والبلاد والازمان ، الا ان الغالب كان مبلغ الكيس الرومي ٥٠٠ قرش . اما المحمدية فكانت نقودا منسوبة الى محمد الثاني سلطان آل عثمان الذي اعتلى اريكة الملك سنة ١٤٥١م وكانت قيمتها نحو نصف فرنك ذهب . ومع الوقت انحطت ايضا وكان اهالي مسقط يعتبرون كل احدى عشرة محمدية ونصف بسعر ريال وقد ذكر لنا صديقنا الحاج عبداللطيف كنيان ان في شهر حزيران من سنة ١٩١٨ بلغت الالف ربية ٤٦٢٤ محمدية ونصفا (اربعة الاف وستمائة واربعة وعشرين محمدية ونصفا) والمسقطيون يقسمون المحمدية الى عشرين « غازيا » ويجمعون الغازي على غوازي (بياء خفيفة في الاخر) وقد يتسعون في معنى كلمة الغازي فيطلقونها على الدراهم مهما كان نوعها على حد ما يستعمل العراقيون بهذا المعنى كلمة فلس وفلوس .

وسعر الربية يختلف باختلاف سعر الفضة . فاذ كان الالف منها يبلغ ٤٦٢٤ ونصفا في حزيران من سنة ١٩١٨ بلغ الالف منها في سنة ١٩١٩ ما يساوي ٤٩٠٠ اي نحو مائتين ونصف تقريبا . والظاهر ان المحمدية كانت في زمن افراسياب خمسين سنتيما ذهبا فيكون قد اشترى هذا الرحل البصرة وما فيها باثنى عشر الف فرنك ذهبا لا غير على اعظم تقدير . فتأمل

في كل كيس ٣٠٠٠ محمدية وهي عملة تركية كانت رائجة في العراق وترك البصرة لافراسياب وخرج مشترطا عليه ان لايقطع الخطبة من اسم السلطان وتوجه ذلك الرومي (١) الى الاستانة .

فحكم في البصرة افراسياب واحبته الناس وتوسع في بسط نفوذه في الجزائر ومنع الجوائز التي كانت تتقاضاها موالي الحويزة من البصرة ومنع الجراية التي كانت لهم على الجانب الشرقي من شط العرب . وكان ابتداء حكومته سنة ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م) واستمرت سبع سنين .

ثم حكم من بعده ابنه علي باشا واستمرت حكومته ٤٥ عاما . وقد كثرت في ايامه العوارف والرفاهية وكان مظفرا فتحت في ايامه كل الجزائر بعد ان عجز عنها جند السلطان وقصده جيش الشاه عباس الصفوي فثبت في وجهه وتشدد في مقاومته حتى فشل الجيش الفارسي ونكص راجعا وذلك سنة ١٠٣٦ .

ثم حكم من بعده حسين باشا آل افراسياب ودامت مدة حكمه ٢١ سنة . ثم ختمت بزوال امارة آل افراسياب وكان حسين باشا فاضلا راجت في عهده سوق

(١) المراد بالرومي من احتل بلاد الروم . وكان العرب اجدادنا يريدون ببلاد الروم في القرون المتوسطة البلاد التي تسميها اليوم الاناضول او بر الاناضول . وانما سميت مضافة الى الروم لانها كانت بيد هؤلاء الاقوام حينما نزعها آل عثمان من ايديهم وبقي اسم الروم على الاتراك في بلاد العرب لاسيما في الحجاز ونجد الى هذا العهد .

ونقل دوزي عن احد ادباء الاندلس من ابناء الغرب ان الاندلسيين المسلمين كانوا يسمون بنات النصارى روميات حينما كانوا يأخذونهن في الحرب اسيرات فيتخذونهن وصائف ويلزمونهن بالاسلام . وكانت اسماؤهن تختلف عن اسماء المسلمات العربيات وكان يطلق على كل واحدة منهن اسم رومية بمعنى اسيرة كأنهم كانوا يسمون الرجل من اسرى النصارى روميا . ونقل ايضا عن احد كتبة العرب ما هذا نصه : « وقع على ان الرومية كانت تمزج له الماء في القرع الضيقة الافواق بدم الحيض وهو لم يعلم من ابتداء مرضه الى ذلك اليوم . فضرب الرومية ضربا وجيعا وكسر القرع التي كان يبرد فيها الماء . اه

ومن غريب ما ورد في معنى الرومي ان رؤبة اتخذه في شعره ليدل به على الفارسي الاصل . فقد قال :

تحدي الرومي من يليك

وبك بالفارسية الواحد ، لكن ما لم يستقم له الوزن ان يقول تحدي الفارسي قال تحدى الرومي . وهو من الغرابة بمكان قصي ، وهذا من غريب تصرف الشعراء في معاني الكلام عليهم الله بالحسنى ! (المؤلف)

الادب وكذلك في عهد ابيه وكان يميل الى التشيع وبذلك اصطنع البلاد ودانت له الجزائر وكان آل افراسياب يحسبون انهم ملوك مستقلون وكانت لهم في اقطاعيتهم امتيازات كبيرة حتى ان روح الاستقلال الحقيقي كان ظاهرا ولكن لم يكن مقضيا به رسميا فاراد حسين باشا المجاهرة به وسعى له سعيه ووجد استحسانا واعانة من الجزائريين فحارب الاتراك ثلاثا غلب مرتين وغلب في الثالثة التي انتهت بخراب الجزائر فهرب الى الدورق ثم الى شيراز ثم الى الهند وانكفأ هناك حتى مات .

وقد جاء ذكر لعلي باشا آل افراسياب في ديوان ابن معتوق الذي امتدحه في قصيدته التي مطلعها :

ملكت عظيم المجد بالهمة الصغرى فادركت في ضرب الطلى الدولة الكبرى

الى ان قال :

ماالبصرة الفيحاء إلا قلادة وتتركك من دون النحور بها احرى

تعادى زمانا عهدها فتمنعت وجادت بوصل بعد مامنعت دهرا

علي الشرقي

﴿ تداعى السقوط ﴾

قرأنا في تذكرة الكاتب لاسعد خليل داغر في ص ١٢٩ ما هذا نصه :

« ويقولون : « ويسقط منها ما كان متداعيا للسقوط » ولا يخفى ان كلمة « السقوط » يجب اسقاطها اذهي حشو لاحاجة اليه . ومعناها مستفاد من كلمة تداعى . يقال تداعى البنيان اي تصدع من جوانبه وآذن بالانهدام . وهكذا انقض او انقاض » اه . اقصحيح انه لايقال ؟

قد قلنا مرارا ان اسعد خليل داغر قد اخطأ في كتابه اكثر مما اصاب . وهذا دليل جديد على وهمه . لان تداعى السقوط هو من باب التوكيد لاغير . نعم ان قد تداعى بعض ذلك بنفسه لكن التوكيد غير ممنوع . وقد استعمل هذا التعبير ابن خلدون في مقدمته في كلامه عن الحسبة راجع عبارته في هذه المجلة ٤ : ٣٠٧ .